الحديث عن ذلك التاريخ لكان من الضروري الإشارة بشكل خاص إلى المذهب الإنسانوي Humanism في عصر النهضة وجعله الإنسان مركزًا للكون، وإلى فيلسوف كسبينوزا كانت آراؤه حول التوراة والإنجيل، بالإضافة إلى آراء فلاسفة عصر التنوير في القرن الثامن عشر، سببًا في نشوء نوع من دراسة النصوص الدينية اليهودية المسيحية عُرف بنقد الكتاب المقدس، وذلك كحركة دفاعية حاولت الحفاظ على أهمية ذلك الكتاب بإبراز ما رأى بعض الدارسين أنه طبيعته الشعرية الفولكلورية أو الإنسانية بتعبير أشمل. ولو كنا بصدد ذلك السياق التاريخي لكان من الضروري أيضًا التوقف عند جان جاك روسو وفلسفته الداعية إلى العودة إلى الطبيعة كمصدر للحقيقة والجمال. ولكن هذا المهاد التاريخي، على أهميته الحيوية أوسع من أن يحتويه الإطار المحدد لهذه الورقة (إضافة إلى أنه سبقت الإشارة إليه ولو باقتضاب في الورقتين السابقتين من هذا الكتاب)، بيد أن التذكير به مهم كمنطلق للنقاش على أقل تقدير.

المفكر الألماني هيردرHerder (١٧٤٤-١٨٠٣) ـ الذي ترك أثرًا عميقًا في الحركة الرومانتيكية الأوروبية عمومًا والألمانية بشكل خاص ـ انطلق من المهاد الذي أشير إليه حين شرع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر يدعو إلى الاهتمام بالموروث الشعبي الألماني ويؤصل دعوته في مجاميع ودراسات. فإلى جانب فلسفته للتاريخ القائمة على اتساق تاريخ الإنسان مع قوانين الطبيعة وما تحمله من تشابه مع فلسفة روسو، كان هيردر عالم لاهوت مهتمًا بنقد التوراة والإنجيل، شأنه في ذلك شأن معاصره الإنجليزي روبرت لوث Lowth (١٧١٠-١٧٨٧) صاحب كتاب *محاضرات حول الشعر العبري* (١٧٥٣). فاهتمام الاثنين بدراسة النصوص الدينية اليهودية والمسيحية كان جزءًا من اهتمامهما بالموروث الشعبي. ولأن الغرب ينظر إلى التوراة والإنجيل بوصفهما موروثًا شرقيًا في الأساس فقد أصبحت دراستهما نوعًا من الاستشراق.(٢)

---

(٢) حول علاقة النقد المقدس بالاستشراق في إطار الأدب الرومانتيكي أنظر:

Shaffer, E.S. *'Kubla Khan' and 'The Fall of Jerusalem': The Mythological School in Biblical Criticism and Secular Literature 1770-1880* (Cambridge UP, 1975).

أما حول تأثير النقد المقدس في الرومانتيكية فأنظر.

Stephen Prickett, "The Religious Context" in *The Romantics* ed. Stephen Prickett (London: Methuen & Co.,1981) 147.